بسم الله الرحمـن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

قال رحمه الله تعالى:

[فكانت الدولة أول النهار للمسلمين على الكفار ، فانهزموا راجعين حتى وُصِل إلى نسائهم . فلما رأى ذلك أصحاب عبد الله بن جبير قالوا : يا قوم الغنيمة الغنيمة . فذكَّرهم عبد الله بن جبير تقديم رسول الله ﷺ إليهم في ذلك ، فظنوا أن ليس للمشركين رجعة ، وأنهم لا تقوم لهم قائمة بعد ذلك ، فذهبوا في طلب الغنيمة ، وكرَّ الفرسان من المشركين فوجدوا تلك الفرجة قد خلت من الرماة فجازوها وتمكنوا وأقبل آخرهم ، فكان ما أراد الله كونه ، فاستشهد من أكرم الله بالشهادة من المؤمنين ، فقُتل جماعة من أفاضل الصحابة ، وتولى أكثرهم . وخلص المشركون إلى رسول الله ﷺ فجُرح في وجهه الكريم وكسرت رباعيته اليمنى السفلى بحجر ، وهشِّمت البيضة على رأسه المقدس ، ورشقه المشركون بالحجارة حتى وقع لشقه وسقط في حفرة من الحفر التي كان أبو عامر الفاسق حفرها يكيد بها المسلمين ، فأخذ عليٌّ بيده ، واحتضنه طلحة بن عبيد الله . وكان الذي تولى أذى رسول الله ﷺ عمرو بن قمِئة وعتبة بن أبي وقاص ، وقيل : إن عبد الله بن شهاب الزهري أبا عم محمد بن مسلم بن شهاب الزهري هو الذي شجَّه ﷺ . وقُتل مصعب بن عمير رضي الله عنه بين يديه ، فدفع ﷺ اللواء إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ونشبت حلقتان من حِلق المغفر في وجهه ﷺ ، فانتزعهما أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وعض عليهما حتى سقطت ثنيتاه ، فكان الهتم يزينه ، وامتص مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري الدم من جرحه ﷺ] .

****

قال رحمه الله تعالى : ((**فكانت الدولة أول النهار للمسلمين على الكفار فانهزموا راجعين حتى وُصِل إلى نساءهم**)) ؛ في بدء المعركة أول النّهار كانت الدولة والنصرة للمسلمين ، والهزيمة لأعداء الله ﷻ فأعطوا المسلمين أكتافهم فارين ، وكان النبي عليه الصلاة والسلام لما

أمر جماعة من الصحابة وعددهم خمسون رجلاً بالبقاء على جبل الرماة وأن لا ينزلوا من الجبل مهما كان الأمر حتى يأذن لهم عليه الصلاة والسلام بالنزول وجعل عليهم عبد الله ابن جبير الأوسي ﷺ ، فلما رأى هؤلاء الصحابة ﷺ جيش الكفار قد انهزم وولّوا هاربين وأن المسلمين وراءهم وأخذ بعضهم يجمع الغنيمة رأوا النزول للمشاركة مع المسلمين في جمع الغنيمة ، فنزلوا بعد تداولٍ بينهم ومنعٍ من عبد الله ابن جبير الأوسي ﷺ لهم من النزول وذكَّرهم بكلام النبي ﷺ ، والذي دفعهم إلى النزول اعتقادهم أن المعركة انتهت وحُسِمت وأن الكفار ولّوا فارين وأنهم لا رجعة لهم وأن الأمر بقي الآن في جمع الغنيمة ((**فقالوا : الغنيمة الغنيمة**)) أي أدركوا الغنيمة أو شاركوا في جمعها .

((**فذكرهم عبد الله بن جبير تقديم رسول الله ﷺ إليهم في ذلك**)) ؛ أي أن النبي ﷺ قدّم إليهم بالكلام بعدم النزول مهما كان الأمر – حتى وإن رأوا الكفار قد انهزموا – حتى يأذن لهم صلوات الله وسلامه عليه بالنزول .

((**فظنوا أن ليس للمشركين رجعة وأن لا تقوم لهم قائمة بعد ذلك**)) ؛ يعني أن المعركة انتهت تماماً وانهزم الكفار وأنه ليس لهم رجعة ، فاجتهدوا ونزلوا .

((**فذهبوا في طلب الغنيمة**)) ؛ وهذا هو قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ والحَس كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره : القتل ، ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ أي تقتلونهم ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾ يعني لما رأوا الغنيمة ورأوا الجيش قد انهزم وحصلت المخالفة من الرماة بالنزول وقد نهاهم النبي عليه الصلاة والسلام ؛ كرَّ عليهم بعض الكفار من الوراء لما وجدوا أن الحماية التي كانت من وراء تحمي المسلمين قد نزلوا ، فأصبح الذين انهزموا أيضاً رجعوا وقُتِل جماعة كبيرة من أصحاب النبي صلوات الله وسلامه عليه ، وسيأتي معنا أن النبي ﷺ نفسه أُصيب ببعض الإصابة كمّا سيبين ذلك ابن كثير رحمه الله تعالى .

وقد جاء في صحيح البخاري أن النبي عليه الصلاة والسلام رأى قبل ذلك رؤية وفسرها بهذا الأمر الذي حصل في معركة أحد ؛ جاء في صحيح البخاري أنه عليه الصلاة والسلام قال : ((رَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ ، فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ

أُحُدٍ ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ بِأُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنْ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ)) .

قال الإمام ابن كثير: ((**وكر الفرسان من المشركين فوجدوا تلك الفرجة**)) ؛ التي هي نزول الرماة من موقع الحماية والحراسة لظهر المسلمين .

((**قد خلت من الرماة فجازوها وتمكنوا ، وأقبل آخرهم**)) ؛ يعني من كان منهم فارًّا علِم أن ظهر المسلمين انكشف وأن جيشاً من الكفار جاءوهم من الوراء فرجع آخرهم .

((**فكان ما أراد الله كونه**)) حتى إن الأمر اختلط وماج الناس ، يعني بسبب الموجة التي حصلت وأصبح الجيش من الوراء ومن الأمام بعض الصحابة قُتِل في المعركة بأيدي بعض المسلمين ظناً أنه من الكفار ، ومنهم والد حذيفة ابن اليمان ، وكان رجلاً كبيراً ، وأبقاه النبي عليه الصلاة والسلام في المدينة مرخصاً له لكِبر سنه في أن لا يخرج للقتال ، لكنه لشدة حرصه وعظيم رغبته أصرَّ وجاء ، فقتله بعض المسلمين في المعركة وكان حذيفة يراه وهو يُقدِم عليه فيقول : " أبي أبي " ينبِّهه على ذلك .

قال : ((**فاستشهد من أكرم الله بالشهادة من المؤمنين ، فقُتل جماعة من أفاضل الصحابة ، وتولى أكثرهم**)) ؛ قُتِل بيد بعض المسلمين بسبب الأمر الذي ماج والهول الذي حصل والإلتفافة التي دهتهم من الوراء ثم جاءوهم من الأمام ، وتولى عدد منهم واستشهد عدد كبير من أصحاب النبي ﷺ .

ثم ذكر الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى خلاصة تتعلق بما أصيب به النبي ﷺ نفسه في هذه المعركة ، لما انكشف المسلمون وتولى عدد منهم واستشهد عدد كبير من الصحابة ﷺ ، وأصبح قلة حول النبي عليه الصلاة والسلام يحمونه ((**فخلص المشركون إلى رسول الله ﷺ**)) ؛ أي تقدموا إليه بغية قتله صلوات الله وسلامه عليه .

((**فجُرح في وجهه وكسرت رباعيته اليمنى السفلى بحجر**)) ؛ يعني أحد المشركين أخذ حجراً وصوّبه إلى جهته عليه الصلاة والسلام فأصاب رباعية النبي ﷺ اليمنى السفلى فكُسِرت .

((**وهشِّمت البيضة على رأسه المقدس صلوات الله وسلامه عليه**)) .

((**ورشقه المشركون بالحجارة حتى وقع لشقه**)) ؛ أي سقط عليه الصلاة والسلام لجنبه .

((**وسقط في حفرة من الحفر التي كان أبو عامر الفاسق يكيد بها المسلمين**)) ؛ حفرة وضعها أبو عامر الفاسق يكيد بها المسلمين ، فكان أن سقط عليه الصلاة والسلام فيها .

((**فأخذ علي بيده ، واحتضنه طلحة ابن عبيد الله رضي الله عنهما**)) .

قال : ((**وكان الذي تولى أذى رسول الله ﷺ عمرو ابن قمئة الليثي**)) ؛ يعني كان هذا من أشد الكفار حرصاً على أذى رسول الله ﷺ ، وكان مصعب ابن عمير يحمي رسول الله ﷺ من اندفاع وتسلط ابن قمئة عليه، فضرب ابن قمئة مصعب ابن عمير واستشهد ، وأعطى النبي عليه الصلاة والسلام اللّواء لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه. جاء في بعض الأخبار أن ابن قمئة لما قتل مصعب كان يظن أنّه قتل النبي ﷺ فذهب وهو يقول : " قتلتُ رسول الله " . وجاء أيضاً في بعض الأخبار أنّه ضرب ضربة نحو النبي عليه الصلاة والسلام وهو يقول : خذها من ابن قمئة ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : ((أقمأك الله)) ، فلما رجع بعد المعركة سلَّط الله ﷻ عليه تيساً من تيوس الجبال فأخذ ينطحه حتى هلك بنطح ذلك التيس . وهذا ذكره ابن إسحاق في سيرته بسند فيه شيء من الكلام .

قال : ((**وكان الذي تولى أذى رسول الله ﷺ عمرو بن قمئة الليثي وعتبة بن أبي وقاص**))

((**وقيل إن عبد الله ابن شهاب الزهري أبا عم محمد بن مسلم ابن شهاب الزهري هو الذي شجه ﷺ**)) ؛ والمقصود بمحمد ابن مسلم الإمام الفقيه المعروف واسمه محمد ابن مسلم ابن عبيد الله ابن عبد الله ابن شهاب الزهري ؛ فجدّ محمد ابن مسلم ابن شهاب لأبيه هو أيضاً عبد الله ابن شهاب ، وهنا قال بن كثير : ((**أبا عم محمد ابن مسلم ابن شهاب الزهري**)) واسمه عبد الله ، وذكروا أن لشهاب ابنان كلاهما اسمه عبد الله ، وأن الذي شجّ النبي عليه الصلاة والسلام هو أحد هذين الابنين وليس جد محمد وإنّما والد عمه كما أشار إلى ذلك ابن كثير رحمه الله تعالى ، وذُكِر أيضاً أنه أسلم .

ونلاحظ أن عبد الله ابن شهاب الذي أسلم وابن قمئة الذي مات على كفره بالله ﷻ ؛ جاء في الحديث الصحيح أن النبي عليه الصلاة والسلام لما شُجّ وسال الدم من وجهه جَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ وَيَقُولُ : ((كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ)) – أي بالدم– ، وفي رواية أنه قال : ((كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالدَّمِ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ)) – يعني يستبعد

يعني أن يفلح من يكون بهذه الصفة ؛ أن نبيه الذي يدعوه للإسلام، يدعوه إلى الجنة ، يدعوه إلى النجاة من النار ، يدعوه إلى سعادة الدنيا والآخرة ، ثمّ يبلغ به الأمر أن يشجّ النبي ويسيل الدم من وجهه صلوات الله وسلامه عليه – فأنزل الله : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٢٨])) أي أن الأمر كله لله ﷻ . وأيضاً جاء أنه عليه الصلاة والسلام كان يدعو فيقول : ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)) . وكان أيضاً يَحْكِي نَبِيًّا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ فَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ : ((رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)) .

ففي الآية الكريمة قال الله ﷻ : ﴿ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ ﴾ فمنهم من عذبه الله بأن مات كافرا بالله ﷻ ، ومن هؤلاء من كان شديد النكاية في حرب المسلمين ومقاتلتهم والتسلط عليهم ، ومنهم من تاب الله عليه وهداه وشرح صدره للإسلام ، مثل عبد الله ابن شهاب ، وأبو سفيان قائد الجيش ، وخالد ابن الوليد وعدد ممن كانوا لهم نكاية وشدّة في هذه المعركة . وهذا فيه درس عظيم في التوحيد ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ أي أن الأمر كله لله ، فالهداية والتوفيق بيد الله والأمر لله ﷻ من قبل ومن بعد ، فلا يُسأل إلا الله ، ولا يُدعى إلا الله ، ولا يُلتجأ إلا إلى الله ، ولا يطلب المدد والعون إلا من الله ، لأن الأمر كله بيده ﷻ ، وأما النبي عليه الصلاة والسلام ليس بيده من الأمر شيء إلا البلاغ والبيان والنصيحة والوعظ والإشاد ، وأما الهداية والتوفيق والتوبة والصلاح والاستقامة والرزق والصحة والعقل هذا كله بيد الله ﷻ ، ولهذا قال : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾

قال : ((**وقُتل مصعب ابن عمير بين يديه**)) ؛ يعني مدافعاً منافحاً عن رسول الله ﷺ يقيه بجسمه رضي الله عنه . ومصعب ابن عمير – كما عرفنا سابقاً – كان من أول المهاجرين إلى المدينة وجاء يعلِّم القرآن ويؤُم الناس في الصلاة ، وأول جمعة هو الذي أمَّهُم بها رضي الله عنه ، وحصل على يديه خير عظيم ، وكان رضي الله عنه في الجاهلة أنْعم قريش وأحسنهم حُلَّة بين أبويه ، كان معروف بما يظهر عليه من النّعمة وجمال الثياب وحسن الحلة التي يلبسها ، ولما مات رضي الله عنه ما وجدوا شيئاً يكفنونه به ويغطى به كامل بدنه ، فإنه مَاتَ رضي الله عنه وَلَمْ يَتْرُكْ إِلَّا ثَوْبًا كَانُوا إِذَا غَطَّوْا بِهِ رَأْسَهُ

خَرَجَتْ رِجْلَاهُ وَإِذَا غَطَّوْا بِهِ رِجْلَيْهِ خَرَجَ رَأْسُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((غَطُّوا رَأْسَهُ وَاجْعَلُوا عَلَى رِجْلَيْهِ الْإِذْخِرَ)) .

قال : ((**فدفع ﷺ اللواء إلى علي بن أبي طالب ، ونشبت حلقتان من حلق المغفر في وجهه ﷺ**)) ؛ المغفر : هو ما يغطى به الرأس للوقاية من النبل أو من السهام والرمي ونحو ذلك ، والحلقة معروفة .

قال : ((**فانتزعهما أبو عبيدة ابن الجراح ، وعضَّ عليهما حتى سقطت ثنيتاه**)) ؛ هما حلقتان فانتزع أولاً حلقة فسقطت بعض ثناياه ، ثمّ انتزع الثانية فسقط أيضاً بعض ثناياه ، فكان ﷺ به هُتمة ، والأهتم من سقطت منه ثناياه .

قال : ((**فكان الهتم** – أي الكسر الذي أصاب ثناياه – **يزيّنه**)) ؛ لأن كل من رأى هذا الهتم يعرف خبره وقصته ويعرف أن سبب هذا الهتم هو نزع حلقتي الحديد اللّتين نشبت في وجه النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

قال : ((**وامتصَّ مالك ابن سنان والد أبي سعيد الخدري الدم من جرحه ﷺ**)) .

قال رحمه الله :

[وأدرك المشركون النبي ﷺ فحال دونه نفرٌ من المسلمين نحوٌ من عشرة فقتلوا ، ثم جالدهم طلحة حتى أجهضهم عنه ﷺ ، وترَّس أبو دجانة سماك بن خرشة عنه ﷺ بظهره ، والنبل يقع فيه وهو لا يتحرك ﷺ ، ورمى سعد بن أبي وقاص ﷺ يومئذ رمياً مسدداً منكياً ، فقال له رسول الله ﷺ : ((ارم فداك أبي وأمي)) وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان الظفري ، فأتى بها رسول الله ﷺ فردَّها عليه الصلاة والسلام بيده الكريمة ، فكانت أصح عينيه وأحسنهما . وصرخ الشيطان ـ لعنه الله ـ بأعلى صوته : إن محمداً قد قُتل ، ووقع ذلك في قلوب كثير من المسلمين ، وتولى أكثرهم ، وكان أمر الله . ومرَّ أنس بن النضر بقوم من المسلمين قد ألقوا بأيديهم فقال : ما تنتظرون ؟ فقالوا قتل رسول الله ﷺ ، فقال : ما تصنعون في الحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه ، ثم استقبل الناس فلقي سعد بن معاذ فقال : يا سعد ، والله إني لأجد ريح الجنة من دون

أحد ، فقاتل حتى قُتل ﷺ ، **ووُجد به سبعون ضربة . وجُرح يومئذ عبد الرحمن بن عوف نحواً من عشرين جراحةً ، بعضها في رجله ، فعرج منها حتى مات** ﷺ].

****

قال : ((**وأدرك المشركون رسول الله** ﷺ **فحال دونه نفر من المسلمين نحو من عشرة فقُتلوا**)) ؛ تقدم المشركون إلى النبي ﷺ بغية قتله وليس حوله إلا قِلة من الصحابة ، قيل : عشرة ، سبعة منهم من الأوس ، فقال عليه الصلاة والسلام : ((مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنِّي وَهُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ)) فاستبسل هؤلاء العشرة الذين كانوا حول النبي عليه الصلاة والسلام وأبلوا بلاءً عظيماً في الذب عنه والدفاع عنه صلوات الله وسلامه عليه فاستشهد سبعة من الأوس واحداً تلو الآخر في بلاءٍ حسن ومدافعةٍ عظيمة عن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

قال: ((**ثم جالدهم طلحة** ﷺ **حتى أجهضهم**)) ؛ طلحة ﷺ هو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، جالدهم : أي ضربهم بالسيف ، حتى أجهضهم : أي منعهم ﷺ وصدهم وأبعدهم عن النبي ﷺ بما أمده الله ﷻ من معونة وقوة وسداد وتوفيق . حتى إنه ﷺ شُلَّت يده في ذلك الوقت في دفاعه عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

قال : ((**وترَّس أبو دجانة سماك ابن خرشة** ﷺ **عنه** ﷺ **بظهره ، والنبل يقع فيه وهو لا يتحرك**)) ؛ حمايةً لنبينا صلوات الله وسلامه عليه ، وكان ﷺ ممن أبلوا بلاءً عظيماً في القتال وفي حماية النبي الكريم ﷺ. ومرّ معنا أن أبا دجانة ﷺ لما عرض النبي عليه الصلاة والسلام عليهم ((من يأخذ السيف؟)) فكلهم تقدم ، فقال : ((من يأخذه بحقه ؟)) فقال أبو دجانة ﷺ : أنا آخذه بحقه . جاء في صحيح مسلم أنه ﷺ فلق به هام المشركين .

قال رحمه الله تعالى: ((**ورمى سعد بن أبي وقاص** ﷺ **يومئذ رمياً مسدَّداً مُنكياً**)) ؛ من النكاية في الأعداء .

((**فقال له رسول الله** ﷺ : **ارم فداك أبي وأمي**)) ؛ وهذا في الصحيحين ، وكان عليه الصلاة والسلام يناول سعد السّهام بيده ويقول : ((ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي)) ، وأيضاً جاء أن النبي عليه الصلاة والسلام قال نحواً من ذلك للزبير ابن العوام ، وكلاهما من العشرة المبشرين بالجنة ، والتفدية كما هو معلوم إنما تُتَصور في الأحياء ، وأبواه صلوات الله وسلامه عليه كانا من الأموات في ذلك الوقت !! ولهذا يقول الحافظ ابن حجر : " وَقَدْ يُقَال هِيَ لَفْظَة

اِعْتَادَتْ الْعَرَب أَنْ تَقُولهَا وَلَا تَقْصِد مَعْنَاهَا الْحَقِيقِيّ ، إِذْ حَقِيقَة التَّفْدِيَة بَعْد الْمَوْت لَا تُتَصَوَّر " ، فهي كلمة اعتادت العرب أن تقولها ، افعل كذا فداك أبي وأمي ، ففدَّاه عليه الصلاة والسلام بأبيه وأمه .

قال رحمه الله تعالى : ((**وأصيبت يومئذٍ** – أي : في معركة أحد – **عين قتادة ابن النعمان الظفري** رضي الله عنه **فأتى بها رسول الله** ﷺ **فردَّها عليه الصلاة والسلام بيده الكريمة ؛ فكانت أصحَّ عينيه وأحسنهما**)) ؛ يعني خرجت عينه من مكانها ، وجاء بها إلى النبي عليه الصلاة والسلام فردَّها بيده الكريمة فكانت أصح عينيه وأحسنهما من حيث سلامة العين ومن حيث الإبصار بها .

هذا الخبر رواه ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة مُرسلاً ، ووصله أبو عوانة في صحيحه من طريق عبد الرحمن ابن سليمان ابن الغسيل ، قال : حدثنا عاصم ابن عمر ابن قتادة عن أبيه عن جده قال : ((أصيبت عينه يوم أحد أو يوم بدرٍ – كذا بالشك –)) ، ومن هذا الوجه أخرجه أبو يعلى والبغوي والبيهقي في الدلائل أنه يوم بدرٍ بالجزْم ، وأبوه عمر ابن قتادة مقبول كما في التقريب . وروي من طُرق لا تصح أنها يوم أحد . ويُنظر في هذا ترجمته في الإصابة للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى .

قال : ((**وصرخ الشيطان – لعنه الله – بأعلى صوته**)) ؛ نادى الشيطان أو صاح بصوت عالٍ في ذلك المكان ((**إنَّ محمدًا قد قُتِل**)) وقصد بذلك إضعاف المسلمين وإلقاء الخوف في قلوبهم ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٧٥] .

((**ووقع ذلك في قلوب كثير من المسلمين**)) ؛ يعني لما سمعوا ذلك تأثروا بهذا الأمر .

((**وتولى أكثرهم وكان أمر الله**)) ؛ وفي هذا يقول الله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ ﴾ [آل عمران:١٥٥] يعني بصرخته ونداءه بأن النبي عليه الصلاة والسلام قُتل ، فدخلهم من الخوف ما دخلهم ، وتولوا في ذلك الجمع عندما سمعوا بهذا الكلام أن النبي ﷺ قُتِل .

قال : ((ومرَّ **أنس ابن النضر** ﷺ **بقوم من المسلمين قد ألقوا بأيديهم**)) ؛ يعني توقفوا عن القتال وتولوا عنه لما بلغهم ما بلغهم أن النبي عليه الصلاة والسلام قُتِل .

((**فقال : ما تنتظرون ؟**)) ؛ يعني متوقفين عن المشاركة في قِتال الكفار !! .

((**قالوا قُتل رسول الله** ﷺ)) ؛ أي أن هذه الكلمة أثَّرت فيهم فتوقفوا عن القتال .

((**فقال : ما تصنعون في الحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه**)) ؛ إذا كان قد قُتل فهذا يدفعكم أيضاً لأن تموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ ، لا أن تتوقفوا عن القتال .

((**ثم استقبل الناس** – أي متوجهاً للقتال – **فلقي سعد بن معاذ** ﷺ **فقال : يا سعد ، والله إني لأجد ريح الجنة من دون أُحد ، قال : فقاتل حتى قُتل** ﷺ **ووجدت به سبعون ضربة**)) ؛ جاء في صحيح البخاري قال : ((فَمَا عُرِفَ – يعني بسبب الضربات التي أصابته ﷺ في بلاءه العظيم في القتال ومجابهة الكفار – حَتَّى عَرَفَتْهُ أُخْتُهُ بِشَامَةٍ أَوْ بِبَنَانِهِ وَبِهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ وَرَمْيَةٍ بِسَهْمٍ)) ، وهذه الضربات المتوالية بالسهم والطعن وإلى آخره ما ثنته ولا أوقفته ، مستمراً إلى أن استشهِد ﷺ ، وكان قبل ذلك بقليل يقسم بالله العظيم أنه يجد ريح الجنة من دون جبل أحد .

قال : ((**وجُرح يومئذ عبد الرحمن بن عوف نحواً من عشرين جراحةً ، بعضها في رجله ، فعرج منها حتى مات** ﷺ)) ؛ ممن أصيب في هذه المعركة عبد الرحمن ابن عوف وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، جُرِح يومئذ نحواً من عشرين جراحة بعضها في رجله ، فعرج منها وبقي على عرجه من هذه الجراحة والإصابة إلى أن مات ﷺ .

أيضاً جاء في سنن أبي داوود أن رجلاً من الأوس يُقال له عمرو ابن أُقبُش جاء إلى المعركة ولم يسلِم ، كان عنده ربا فكره أن يسلم قبل أن يأخذ الربا الذي له ، فلما جاء إلى المدينة سأل عن الناس قالوا في أحد يقاتلون ضد المشركين ، فلبس لأْمتَه وانطلق إليهم وأخذ سيفه وفرسه وانطلق إليهم ، فلما أقبل عليهم قالوا له مكانك – يعني حاولوا منعه – قال : آمنت بالله ، ودخل المعركة وقاتل حتى أُصيب بها ونُقِل إلى بيته مصاباً ، فأرسل بعض الصحابة يسأل عن نوع قتاله ، هل كان جاء يقاتل حمية ؟ أو يقاتل لأي أمر ، فقال : قاتلت نصرة لله ولرسوله

، ومات ﷺ ولم يصلِ صلاة يعني أسلم مباشرة وعلى الجهاد والمعركة حتى أُصيب وعلى إثر إصابته توفي ﷺ .

وممن أيضاً قُتل شهيداً في هذه المعركة أبو عمرو ابن الجموح ، وكان رجلاً به عرج ، وهو ممن يُعذر في القتال ليس عليه حرج ، فأصرَّ إلا أن يدخل القتال وقال للنبي عليه الصلاة والسلام : أرأيت إن قُتلتُ في سبيل الله أأطأ بعرجتي هذه الجنة ؟ فقال له صلوات الله وسلامه عليه : ((نعم)) ، فقاتل حتى قُتِل شهيداً في سبيل الله ﷻ .

قال رحمه الله :

[وأقبل رسول الله ﷺ نحو المسلمين ، فكان أول من عرفه تحت المغفر كعب بن مالك ﷺ ، فصاح بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله ﷺ ! فأشار إليه ﷺ أن اسكت ، واجتمع إليه المسلمون ، ونهضوا معه إلى الشِعب الذي نزل فيه ، فيهم أبو بكر وعمر وعلي والحارث بن الصمَّة الأنصاري وغيرهم . فلما أسندوا في الجبل ، أدركه أبيُّ بن خلف على جواد يقال له العَوْد ، زعم الخبيث أنه يقتل عليه رسول الله ﷺ ، فلما اقترب تناول رسول الله ﷺ الحربة من يد الحارث بن الصمة فطعنه بها فجاءت في ترقوته ، ويكر عدو الله منهزماً ، فقال له المشركون : والله ما بك من بأس ، فقال : والله لو كان ما بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون ، إنه قال لي : إنه قاتلي ، ولم يزل به ذلك حتى مات بسرف مرجعه إلى مكة – لعنه الله–] .

****

قال : ((**وأقبل رسول الله ﷺ نحو المسلمين فكان أول من عرفه تحت المِغفر كعب ابن مالك** ﷺ)) ففرح لما رأى النبي عليه الصلاة والسلام وأنه على قيد الحياة وأن القول بأنه قد مات لا صِحة له .

((**فصاح بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ، أبشروا ، هذا رسول الله ﷺ ! فأشار إليه عليه الصلاة والسلام أن اسكت**)) ؛ طلب النبي عليه الصلاة والسلام منه السكوت حتى لا يعلم المشركون بذلك وبمكانه فيعيدون الكرة . جاء في الطبراني أن النبي عليه الصلاة والسلام نزع اللَّأْمة التي كانت عليه وألبسها كعب ولبس ﷺ لأْمة كعب . قال كعب : فلقد

ضُربتُ حتى جُرحت عشرين أو قال بضعة عشر جرحاً ، كل من يضربني يحسبني رسول الله ﷺ .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : ((**واجتمع إليه المسلمون ، ونهضوا معه إلى الشِعب الذي نزل فيه ، فيهم أبو بكر وعمر وعلي والحارث بن الصمَّة الأنصاري وغيرهم ، فلما أسندوا في الجبل** – أي النبي ﷺ ومن معه من الصحابة الكرام – **أدركه أبيُّ بن خلف على جواد يقال له العَوْد ، زعم الخبيث أنه يقتل عليه رسول الله ﷺ**)) ؛ أبيّ ابن خلف هذا أخو أمية ابن خلف ، مرّ معنا أنه قُتل في بدر وكان هو وأخوه من ألد الأعداء وأشد الخصوم المعاندين لرسول الله ﷺ ، وكان يجادل النبي عليه الصلاة والسلام في بدء دعوته وفي مهد رسالته عليه الصلاة والسلام ، ومن جداله أنه جاء مرة – وهو ينكر البعث – بعظم بالي ففته أمام النبي عليه الصلاة والسلام وقال : من يحيي هذه العظام وهي رميم ؟ فقال : ((يحييها ويحييك الله ويجعلك في النار)) أو كلاماً نحو هذا ، فكان كثير المعاداة والمعاندة والمخاصمة والصد عن دين الله ﷻ ، وفي معركة أحد جاء على جواد ، يقال له العود ، زعم الخبيث أنه يقتل عليه رسول الله ﷺ .

قال : ((**فلما اقترب تناول رسول الله ﷺ الحربة من يد الحارث ابن الصمة فطعنه بها ، فجاءت في ترقوته، ويكر عدو الله منهزماً فقال له المشركون : والله ما بك من بأس**)) ؛ يعني ما يظهر عليك إصابة بالغة فلماذا هذا الفرار ؟

((**فقال : والله لو كان ما بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون**)) ؛ يعني أنني مصاب بإصابة قاتلة .

((**إنه قال لي : إنه قاتلي**)) ؛ لعلنا نذكر أنَّ أخوه أمية ما خرج من مكة إلا بإصرار من أبي جهل ، لأنه بلغه من سعد بن معاذ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال أنه سيُقتل ، فقال بمكة ؟ قال : لا أدري ، فأقسم أن لا يخرج من مكة ، لكن أصرَّ عليه أبو جهل إلا أن يخرج معهم ، فخرج وهو كاره واشترى ناقة وحرص على أن تكون ناقة سريعة وجيدة لأنه أبطن الرجوع من أول الطريق ولم يزل كل مرة يقرر إلى أن قُتِل في بدر .

قصة أخوه أبيّ أيضاً مشابهة له تماماً ، روى عبد الرزاق في مصنفه عن مِقْسَم مولى ابن عباس مرسلا ، وبنحوه رواه البيهقي في الدلائل عن عروة مرسلا : ((أنَّ أبيّ ابن خلف قال : والله

لأقتلن محمداً ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : بل أنا أقتله إن شاء الله ، فأفزعه ذلك قال : أنشدك بالله أسمعته يقول ذلك ؟ قال : نعم ، فوقعت في نفسه لأنهم لم يسمعوا رسول الله ﷺ يقول قولاً إلا كان حقاً)) وقائع كثيرة جدا أخبر ﷺ بوقوعها فوقعت .

قال : ((**ولم يزل به ذلك** – يعني أثر هذه الإصابة – **حتى مات بسرف مرجعه إلى مكة لعنه الله**)) .

قال رحمه الله :

[وجاء علي ﷺ إلى رسول الله ﷺ بماءٍ ليغسل عنه الدم فوجده آجناً فردَّه . وأراد ﷺ أن يعلو صخرة هناك فلم يستطع لما به ﷺ ، ولأنه ظاهَر يومئذ بين درعين، فجلس طلحة تحته حتى صعدها ، وحانت الصلاة فصلى بهم جالساً ، ثم مال المشركون إلى رحالهم ، ثم استقبلوا طريق مكة منصرفين إليها ، وكان هذا كله يوم السبت ، واستشهد يومئذ من المسلمين نحو السبعين . منهم حمزة عم رسول الله ﷺ ، قتله وحشي مولى بني نوفل وأعتق لذلك ، وقد أسلم بعد ذلك وكان أحد قتلة مسيلمة الكذاب لعنه الله ، وعبد الله بن جحش حليف بني أمية ، ومصعب بن عمير ، وعثمان بن عثمان وهو شماس بن عثمان المخزومي، سُمي بشماس لحسن وجهه . فهؤلاء أربعة من المهاجرين ، والباقون من الأنصار رضي الله عن جميعهم، فدفنهم في دمائهم وكلومهم ولم يصلِّ عليهم يومئذ ، وفرَّ يومئذ من المسلمين جماعة من الأعيان ، منهم عثمان بن عفان ﷺ ، وقد نص الله سبحانه على العفو عنهم فقال ﷻ : {إِنّ الّذِينَ تَوَلّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنّمَا اسْتَزَلّهُمُ الشّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا اللّهُ عَنْهُمْ إِنّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ } [آل عمران:١٥٥]**، وقُتل يومئذ من المشركين اثنان وعشرون ، وقد ذكر سبحانه هذه الوقعة في سورة آل عمران حيث يقول : { وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }** [آل عمران:١٢١] **]** .

****

قال : ((**وجاء علي إلى رسول الله ﷺ بماء ليغسل عنه الدم ، فوجده آجناً فردَّه**)) ؛ جاء في صحيح ابن حبان بسند حسن ((وَأَتَاهُ بِمَاءٍ فِي دَرَقَتِهِ فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ أَنْ يَشْرَبَ مِنْهُ فَوَجَدَ لَهُ رِيحًا فَعَافَهُ)) هذا معنى قوله ((فوجده آجِنا فردَّه)) ؛ يعني وجده متغير وله ريحاً ، بسبب أنه جيء به في الدرقة فعافه عليه الصلاة والسلام .

قال : ((**فغسل به الدم الذي في وجهه**)) ؛ يعني غسل الدم الذي في وجهه صلوات الله وسلامه عليه بهذا الماء الذي في الدرقة .

جاء أيضاً في الصحيحين عن سهل بن سعد قال : ((جُرِحَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ وَهُشِمَتْ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ فَكَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَغْسِلُ الدَّمَ وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَسْكُبُ عَلَيْهَا بِالْمِجَنِّ فَلَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةُ أَنَّ الْمَاءَ لَا يَزِيدُ الدَّمَ إِلَّا كَثْرَةً أَخَذَتْ قِطْعَةَ حَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهُ حَتَّى صَارَ رَمَادًا ثُمَّ أَلْصَقَتْهُ بِالْجُرْحِ فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ)) .

قال ابن كثير : ((و**أراد ﷺ أن يعلو صخرة هناك** – أي إلى جهة الجبل – **فلم يستطع**)) ؛ أشار ابن كثير إلى سببين :

الأول : قال : ((**لِما به ﷺ**)) أي من إصابة .

والثاني : ((**لأنه ظاهَر يومئذ بين درعين**)) ؛ وهذه تُثقِل الجسم نوعاً ما .

((**فجلس طلحة تحته**)) ؛ يعني جعل نفسه مثل الدرجة يصعد عليه ﷺ ليصعد تلك الصخرة .

قال : ((**وحانت الصلاة فصلى بهم ﷺ جالساً**)) ؛ هنا يُنتبه لأهمية صلاة الجماعة حتى في أحلك الظروف ، والناس الآن كثير منهم في صحة وعافية ونعمة ورخاء وفي وتهاون شديد في أمر صلاة الجماعة .

قال : ((**ثم مال المشركون إلى رحالهم ، ثم استقبلوا طريق مكة منصرفين إليها ، وكان هذا كله يوم السبت**)) .

قال رحمه الله تعالى : ((**واستشهد يومئذ من المسلمين نحو السبعين**)) ؛ وسمى بعضهم ، وجُلّ من استشهدوا كانوا من الأنصار ، والذين من المهاجرين عدد قليل جداً سماهم ابن كثير. جاء في صحيح البخاري عن قتادة قال : ((مَا نَعْلَمُ حَيًّا مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ أَكْثَرَ شَهِيدًا أَعَزَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ الْأَنْصَارِ)) . قال : ((وَحَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّهُ قُتِلَ مِنْهُمْ يَوْمَ

أُحُدٍ سَبْعُونَ ، وَيَوْمَ بِئْرِ مَعُونَةَ سَبْعُونَ ، وَيَوْمَ الْيَمَامَةِ سَبْعُونَ)) واليمامة كانت مع مسيلمة الكذاب .

قال : ((**واستشهد يومئذ من المسلمين نحو السبعين ، منهم حمزة عم رسول الله ﷺ ، قتله وحشي مولى بني نوفل وأعتق لذلك ، وقد أسلم بعد ذلك وكان أحد قتلة مسيلمة الكذاب لعنه الله**)) ؛ جاء في صحيح البخاري أن وحشي رضي الله عنه قال : ((إِنَّ حَمْزَةَ قَتَلَ طُعَيْمَةَ بْنَ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ بِبَدْرٍ فَقَالَ لِي مَوْلَايَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ بِعَمِّي- يعني عمه طعيمة - فَأَنْتَ حُرٌّ)) وساق وحشي قصة قتله لحمزة وأنّه ترصد له وراء صخرة ورماه فقتله ، وأنه فيما بعد أحب أن يُكفِّر أو أن يقوم بأمر عن قتله حمزة فقاتل في مقاتلة مسيلمة الكذاب ، وكان ممن قتل مسيلمة الكذاب .

جبير ابن مطعم الذي حرّض وحشي على قتل حمزة وقال له ((إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ بِعَمِّي فَأَنْتَ حُرٌّ)) ، وكذلك وحشي - قتلوا سيد الشهداء أحدهم بالتحريض وأحدهم بالفعل - كلاهما منَّ الله ﷻ عليه بالهداية للإسلام ، وهذا من معنى الآية المتقدم : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ ﴾ يعني الأمر كله لله .

سمى ابن كثير من كانوا قتلوا من المهاجرين ؛ ذكر حمزة رضي الله عنه ، ((**وعبد الله ابن جحش حليف بني أمية، ومصعب ابن عمير ، وعثمان وهو شماس بن عثمان المخزومي ، سُمي بشماس لحسن وجهه . فهؤلاء أربعة من المهاجرين ، والباقون من الأنصار**)) ؛ الشهداء كانوا سبعين فأربعة من المهاجرين والباقون كلهم من الأنصار .

قال : ((**فدفنهم في دمائهم وكلومهم ، ولم يصلِّ عليهم يومئذ**)) ؛ جاء في صحيح البخاري من حديث جابر قال : ((كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ يَقُولُ : أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ ؟ فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ وَقَالَ أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ فِي دِمَائِهِمْ وَلَمْ يُغَسَّلُوا وَلَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِمْ)) . قال المؤلف ابن كثير رحمه الله في كتابه البداية والنهاية : " وإنّما أرخص لهم في ذلك لما بالمسلمين من الجراح التي يشق معها أن يحفروا لكل واحدٍ واحد " .

والحافظ ابن كثير رحمه الله في كتابه البداية والنهاية عقد فصلاً خاصاً في مسألة الصلاة على شهداء أحد ، وأورد في أول الفصل حديثين يفيدان أن النبي عليه الصلاة والسلام صلى على

شهداء أحد ، الحديث الأول عن ابن عباس والحديث الثاني عن ابن مسعود ؛ وفيهما أن النبي ﷺ وضع حمزة أمامه ثم يُؤتى بكل شهيد ويصلي عليه فيكون صلى على كل شهيد مرة وعلى حمزة سبعين مرّة بعدد الشهداء ، ثم بيَّن رحمه الله تعالى أن إسناد كل من الحديثين ضعيف ، وقال : "والذي رواه البخاري أثبت " أي من حديث جابر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لم يصلِّ عليهم .

وجاء عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في كتابه الأم ونقله عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري أنه قال : "جاءت الأخبار كأنها عِيان من وجوه متواترة أن النبي ﷺ لم يصلِّ على قتلى أحد ، وما روي أنه صلى عليهم وكبّر على حمزة سبعين تكبيرة لا يصح " . ثمّ إنّه أيضاً ثبت في صحيح البخاري من حديث عقبة ابن عامر وهذا أورده الحافظ ابن كثير قال : ((صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ كَالْمُوَدِّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ)) ، ومن أهل العلم من حمل ذلك على معنى الدعاء لا الصلاة المعروفة بالصلاة على الميت ، أو أنّها تكون خاصة لشهداء أحد .

ثم ذكر رحمه الله تعالى أن بعض الأعيان من الصحابة فروا في المعركة فقال : ((**وفرَّ يومئذ من المسلمين جماعة من الأعيان ، منهم عثمان بن عفان** رضي الله عنه ، **وقد نصَّ الله سبحانه على العفو عنهم ، فقال** ﷻ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران:١٥٥])) ؛ نصَّ الله ﷻ على العفو عنهم وذلك في قوله : ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ .

قال : ((**وقُتل يومئذٍ من المشركين اثنان وعشرون**)) ؛ وأُسِر منهم إضافة إلى هؤلاء أبو عزة الشاعر ، لأنه كان من جملة أُسارى بدرٍ وعاهد النبي عليه الصلاة والسلام أن لا يشارك في قتال ضِده عليه الصلاة والسلام فأخلف وعده للرسول عليه الصلاة والسلام ، فأُسِر في أُحد وقُتِل صبراً .

قال رحمه الله : ((**وقد ذكر سبحانه هذه الوقعة في سورة آل عمران حيث يقول** : ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:١٢١])) ؛ أشار في ختام الحديث أن الله ﷻ ذكر هذه الوقعة في سورة آل عمران ، ثم إن النبي عليه الصلاة

والسلام – كما جاء في المسند للإمام أحمد بإسناد ثابت عن عُبَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ الزُّرَقِيِّ – ((لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَفَأَ الْمُشْرِكُونَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِيَ عَلَى رَبِّي فَصَارُوا خَلْفَهُ صُفُوفًا فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ ، اللَّهُمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ ، وَلَا هَادِيَ لِمَا أَضْلَلْتَ وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلَا مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ وَلَا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ ، اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَوْمَ الْعَيْلَةِ ، وَالْأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا وَشَرِّ مَا مَنَعْتَ ، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا ، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ وَاجْعَلْنَا مِنْ الرَّاشِدِينَ ، اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ ، اللَّهُمَّ قَاتِلْ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ ، اللَّهُمَّ قَاتِلْ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَهَ الْحَقِّ)) .

معركة أحد فيها من الفوائد والعبر والثمار العظيمة الكبيرة التي حصَّلها أهل الإسلام شيئاً كثيرا ، ومن أحسن من تناول هذا الباب بياناً وإيضاحاً للفوائد والثمار والعبر التي في معركة أحد الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه زاد المعاد ، وأنصح كل طالب علم أن يرجع لزاد المعاد ، وإن تيسر هذه الليلة فهو من تعجيل المنفعة والمسارعة للفائدة ، فالإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه زاد المعاد بسَط بسطاً وافياً يثلج الصدر ويقرُّ العين ويوقِف طالب العلم على فوائد وعبر ودروس وحكم تستفاد من هذه الغزوة العظيمة المباركة غزوة أحد .

والحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في كتابه فتح الباري ذكر خلاصةً في هذا الباب نسبَها إلى بعض أهل العلم ، وهي مستفادة مما كتبه وبسطه الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه زاد المعاد .

قال الحافظ بن حجر : "قَالَ الْعُلَمَاءُ : وَكَانَ فِي قِصَّة أُحُدٍ وَمَا أُصِيب بِهِ الْمُسْلِمُونَ فِيهَا مِنْ الْفَوَائِدِ وَالْحِكَمِ الرَّبَّانِيَّةِ أَشْيَاء عَظِيمَة : مِنْهَا تَعْرِيف الْمُسْلِمِينَ سُوء عَاقِبَة الْمَعْصِيَة وَشُؤْم اِرْتِكَاب النَّهْي ، لِمَا وَقَعَ مِنْ تَرْك الرُّمَاةِ مَوْقِفَهُمْ الَّذِي أَمَرَهُمْ الرَّسُول أَنْ لَا يَبْرَحُوا مِنْهُ . وَمِنْهَا أَنَّ عَادَة الرُّسُلِ أَنْ تُبْتَلَى وَتَكُون لَهَا الْعَاقِبَة كَمَا تَقَدَّمَ فِي قِصَّةِ هِرَقْل مَعَ أَبِي سُفْيَان ، وَالْحِكْمَة فِي ذَلِكَ : أَنَّهُمْ لَوْ اِنْتَصَرُوا دَائِمًا دَخَلَ فِي الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ وَلَمْ يَتَمَيَّز

الصَّادِق مِنْ غَيْره ، وَلَوْ اِنْكَسَرُوا دَائِمًا لَمْ يَحْصُل الْمَقْصُود مِنْ الْبَعْثَة ، فَاقْتَضَتْ الْحِكْمَة الْجَمْع بَيْن الْأَمْرَيْنِ لِتَمْيِيزِ الصَّادِق مِنْ الْكَاذِب ، وَذَلِكَ أَنَّ نِفَاق الْمُنَافِقِينَ كَانَ مَخْفِيًّا عَنْ الْمُسْلِمِينَ ، فَلَمَّا جَرَتْ هَذِهِ الْقِصَّة وَأَظْهَر أَهْل النِّفَاق مَا أَظْهَرُوهُ مِنْ الْفِعْل وَالْقَوْل عَادَ التَّلْوِيح تَصْرِيحًا ، وَعَرَفَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ لَهُمْ عَدُوًّا فِي دُورهمْ فَاسْتَعَدُّوا لَهُمْ وَتَحَرَّزُوا مِنْهُمْ . وَمِنْهَا أَنَّ فِي تَأْخِير النَّصْر فِي بَعْض الْمَوَاطِن هَضْمًا لِلنَّفْسِ وَكَسْرًا لِشَمَاخَتِهَا ، فَلَمَّا أُبْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ صَبَرُوا وَجَزِع الْمُنَافِقُونَ . وَمِنْهَا أَنَّ اللَّه هَيَّأَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ مَنَازِل فِي دَار كَرَامَته لَا تَبْلُغهَا أَعْمَالهمْ ، فَقَيَّضَ لَهُمْ أَسْبَاب الِابْتِلَاء وَالْمِحَن لِيَصِلُوا إِلَيْهَا . وَمِنْهَا أَنَّ الشَّهَادَة مِنْ أَعْلَى مَرَاتِب الْأَوْلِيَاء فَسَاقَهَا إِلَيْهِمْ . وَمِنْهَا أَنَّهُ أَرَادَ إِهْلَاك أَعْدَائِهِ فَقَيَّضَ لَهُمْ الْأَسْبَاب الَّتِي يَسْتَوْجِبُونَ بِهَا ذَلِكَ مِنْ كُفْرهمْ وَبَغْيهمْ وَطُغْيَانهمْ فِي أَذَى أَوْلِيَائِهِ ، فَمَحَّصَ بِذَلِكَ ذُنُوب الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَحَقَ بِذَلِكَ الْكَافِرِينَ " .